

خطبة الجمعة - الخطبة ٥١٤ : خ ١- رمضان ٢ - شهر القرآن ، خ ٢- محارم الله ينبغي الابتعاد عن نطاقها لا عن عينها .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٥-٠٢-٠٣ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى:

الحمد لله نعمده ، ونستعين به ونسترشده ، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا نجاد له ولياً مرشداً ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إقراراً بربوبيته وإرغاماً لمن جحد به وكفر ، وأشهد أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الله سيد الخلق والبشر ، ما اتصلت عين بنظر ، أو سمعت أذن بخبر ، اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وعلى ذريته ومن والاه ومن تبعه إلى يوم الدين ، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً ، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

القرآن الكريم هدى و بيان و موعظة و برهان :

أيها الأخوة الكرام ؛ جرت عادة الخطباء أن يجعلوا خطب رمضان حول الموضوعات التالية : خطبة عن فضل رمضان ، وخطبة عن القرآن ، وخطبة عن الإنفاق ، وخطبة عن موقعة بدر ، وخطبة عن ليلة القدر . ولا أشدّ عن هذه القاعدة ، فخطبة اليوم عن القرآن الكريم . أيها الأخوة الكرام ؛ ماذا ورد في القرآن عن القرآن ؟ الله سبحانه وتعالى وصف كتابه بأنه هدى ، وبأنه بيان ، وبأنه موعظة وبرهان ، وبأنه نور وشفاء ، وذكر وبلاغ ، ووعود ووعد ، وبشرى ونذير ، يهدي إلى الحق وإلى الرشد وإلى طريق مستقيم ، يخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد ، ويحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، فيه تبيان لكل شيء ، وهو شفاء لما في الصدور ، وقد قال عليه الصلاة والسلام عن القرآن الكريم :

((كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ نَبَأٌ مَا كَانَ قَبْلَكُمْ ، وَخَبْرٌ مَا بَعْدَكُمْ ، وَحُكْمٌ مَا بَيْنَكُمْ ، وَهُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَارٍ قَصَمَهُ اللَّهُ ، وَمَنْ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ ، وَهُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ ، وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ ، هُوَ الَّذِي لَا تَرِيغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ ، وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الْأَلْسِنَةُ ، وَلَا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ ، وَلَا يَخْلُقُ عَلَى كَثْرَةِ الرَّدِّ ، وَلَا تَنْقُضِي عَجَائِبُهُ ، هُوَ الَّذِي لَمْ تَنْتَهِ الْجِنَّ إِذْ سَمِعْتُهُ حَتَّى قَالُوا

﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ﴾

مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ ، وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هَدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ))

[الترمذي وقال في سننه مجهول والحارث فيه مقال]

أيها الأخوة الكرام ؛ والقرآن الكريم فضلاً عن كل ذلك هو مصدر رئيس لمعرفة الله عز وجل ، فالقرآن كلامه ، ومن خلال كلامه نتعرف إليه عن طريق التدبر ، قال تعالى :

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾

[سورة محمد : ٢٤]

والسمااء خلقه ، ومن خلالها نتعرف إلى الله عن طريق التفكير ، قال تعالى :

﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

[سورة آل عمران : ١٩١]

والحوادث أفعاله ، ومن خلالها نتعرف إلى الله عن طريق النظر والتأمل .

تلاوة القرآن تكون بتطبيقه و فهم معانيه :

أيها الأخوة الكرام ؛ كتاب الله الذي بين أيدينا من أية زاوية تناولناه هو عبادة ولا شك . أن نقرأه ؛ أن نقرأه قراءة مجودة ، أن نتلوه ؛ أن نتلوه حق تلاوته ، أن نفهمه ، أن نتدبره ، أن نطبقه ، ولكن أن نقرأ القرآن من دون أن نطبقه هذا لا يشير إلى إيمانك ، ربما تزهو به ، أن نقرأ القرآن قراءة تنتزع بها إعجاب الآخرين ، هذه القراءة ليست هي التي يقصدها الله عز وجل أن تفهم معانيه ، وأن تعرض هذه المعاني على الناس من دون أن تكون في مستواها هذا لا يرضي الله عز وجل . ما الذي يرضي الله عز وجل ؟ أن نتلوه حق تلاوته ، وتلاوة القرآن حق تلاوته أن نطبقه ، فمثلاً إذا قرأت قوله تعالى :

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾

[سورة النور : ٣٠]

أين أنت من هذه الآية ؟ أجب نفسك على هذا السؤال ، والحقيقة قد تكون مرة أيها الأخوة . الإنسان العاقل لا يجامل نفسه ، ولا يتملقها ، ولا يعيش في الأوهام ، هذا القرآن الكريم الذي جعله الله لنا هدى وشفاء لما في الصدور ، لا نقطف ثماره إذا تلوناه فقط ، أو إذا تلوناه تلاوة مجودة فقط ، أو إذا حفظناه دون أن نعمل به ، لا نقطف ثماره فنهتدي به إلا إذا طبقناه . اقرأ قوله تعالى :

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾

[سورة البقرة : ١٨٨]

أين أنت من هذه الآية ؟ إذا تلبس المسلم بأكل أموال الناس بالباطل فأين هو من تلاوة القرآن حق تلاوته ؟

﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾

[سورة البقرة : ١٩٠]

أين المسلم من هذه الآية ؟ وقصر العدل طافح بالمشكلات والدعاوى التي لا تنتهي وفيها أكل
لأموال الناس بالباطل ؟

﴿وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾

[سورة البقرة : ٢٢١]

هذا مقياس المسلم في اختيار زوج ابنته ، هل تؤثر المال على الدين ؟ هل تؤثر الغنى على
الصلاح ؟ أين نحن من هذه الآية ؟

آيات قرآنية تبدأ بلا الناهية لامتحان النفس :

أيها الأخوة الكرام ؛ لا أحب أن أطيل عليكم ، ولكنني اخترت لكم من بين آيات القرآن الكريم بعض
الآيات التي تبدأ بلا الناهية ، إذا استعرضنا هذه الآيات فلنمتحن أنفسنا ، ولنضعها في الموضوع
الصحيح ، وأن نسلط الضوء على واقعنا من خلال هذه الآية ، قال تعالى :

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾

[سورة البقرة: ١١]

الفساد في الأرض يغضب الله عز وجل ، إخراج الشيء عن طبيعته ، فقد يفسد الشاب ، وقد تفسد
الفتاة ، وقد تفسد العلاقة بين الزوجين ، وقد تفسد العلاقة بين الشريكين ، وقد تفسد العلاقة بين أفراد
المجتمع ، هذا كله بسبب جهل في الحكم الشرعي ، وبسبب بعد عن الله عز وجل ، فأين نحن من
هذه الآية وقد جاءت الآيات مرتبة بحسب سور القرآن الكريم ؟
وأما قوله تعالى :

﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

[سورة البقرة: ٢٢]

هذا الشرك الخفي ، أن تعتمد على غير الله ، وأن ترجو غير الله ، وأن تخشى غير الله ، وأن تتجه
لغير الله ، وأن تضع ثقتك بغير الله ، وأن تفعل فعلاً ترضي غير الله .

﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمناً قليلاً﴾

[سورة البقرة : ٤١]

كما قال الإمام الشافعي : " لأن أرتزق بالرقص أهون من أن أرتزق بالدين " .

﴿وَلَا تَلْبَسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

[سورة البقرة: ٤٢]

لا تلبس أمراً بأمر آخر ، لا تزين الباطل وتعطيه ثوب الحق ، لا تدخل الأمور ببعضها بعضاً ، لا
تجعل الباطل يدخل على الناس وكأنه حق . وهذا ما يفعله بعضهم ، الذي يفتي بلا علم هذا له عند
الله إثم كبير ، أما الذي يفتي بخلاف ما يعلم - يعلم الحق ويفتي بغيره - فهذا يتجاوز الحدود التي
سمح الله بها إلى منطقة خطيرة جداً ، يجعل من جسمه جسراً إلى النار .

الابتعاد عن الشيطان و جعل هامش أمان بين الإنسان و حدود الله :

أيها الأخوة الكرام :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوتَ الشَّيْطَانِ﴾

[سورة النور : ٢١]

النبي عليه الصلاة والسلام يقول :

((إن الشيطان يئس أن يُعبد في أرضكم ، ولكن رضي فيما دون ذلك مما تحقرون من أعمالكم))

[الترغيب والترهيب عن سليمان بن عمرو عن أبيه]

قد تجد بعض المخالفات لا تعبأ بها ، لا تراها كبائر ، تراها صغائر ، إنك إن اقتربت منها فقد اتبعت خطوات الشيطان ، وهل الملمات الكبرى والفواحش الكبرى إلا بسبب خطوة تلتها خطوة تلتها خطوة أوصلت صاحبها إلى الفحشاء ؟

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتَ الشَّيْطَانِ﴾

[سورة الأنعام: ١٤٢]

أيها الأخوة الكرام ؛ آية أخرى في المعنى نفسه :

﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾

[سورة البقرة : ١٨٧]

ينبغي أن تدع بينك وبين حدود الله هامش أمان ، إنك إذا تجاوزت هذه المنطقة الحمراء وقعت في الحرام ، شئت أم أبيت ، دائماً التوجيهات القرآنية تأمر أن تجعل بينك وبين الحرام منطقة أمان واحتياط . قال تعالى :

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتَ الشَّيْطَانِ﴾

[سورة الأنعام: ١٤٢]

﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾

[سورة الإسراء: ٣٢]

﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾

[سورة الإسراء: ٣٤]

﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾

[سورة البقرة : ١٨٧]

كل هذه الآيات تحوم حول المعنى نفسه .

إنفاق الأموال و عدم أكلها بالباطل :

و قال تعالى :

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾

[سورة البقرة : ١٨٨]

ألا يأكل بعض المسلمين أموال بعضهم بالباطل ، ألا يغتصبون ، ألا يأخذون ما ليس لهم ، ألا يعتدون ، وهناك آلاف الطرق ، بل عشرات ألوف الطرق في أكل أموال الناس بالباطل ، فإذا أردنا أن نتلو القرآن حق تلاوته علينا ألا نأكل أموال الناس بالباطل ، علينا أن نقف عند حدود الله ، علينا ألا نقرب حدود الله ، علينا ألا نلبس الحق بالباطل ، ألا نشترى بآيات الله ثمناً قليلاً .
أيها الأخوة الكرام ؛ وقال تعالى :

﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾

[سورة البقرة : ١٩٥]

قال بعض المفسرين في بعض معاني هذه الآية : لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة بعدم الإنفاق ، إنك إن بخلت ولم تتفق مالك تقريباً إلى الله عز وجل أهلكت نفسك يوم القيامة ، وجئت صفر اليدين .

﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِإِيمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصَلِّحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

[سورة البقرة: ٢٢٤]

((الْحَلْفُ مَنْقَعَةٌ لِلسَّلْعَةِ مُمَحِقَةٌ لِلْبِرْكََةِ))

[البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ]

﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِإِيمَانِكُمْ﴾

كان الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى يدفع ديناراً ذهبياً عن كل يمين صادقة أقسمها ، عاهد نفسه على ألا يقسم ، وعلى ألا يحلف ، فكان يعاقب نفسه بدفع دينار ذهباً صدقة عن كل يمين حلفها وهو صادق .

إنصاف النساء :

و قال تعالى أيضاً :

﴿وَلَا تُمَسِّكُوهُنَّ ضِرَارًا لَتَعْتَدُوا﴾

[سورة البقرة : ٢٣١]

هذا الذي يمسك زوجته ، لا يطلقها ، ولا يعطيها حقها ، ولا يعاملها كزوجة من أجل أن تنزل له عن حقوقها ، هذا نهي صريح في نص هذه الآية الكريمة .

﴿وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا﴾

[سورة البقرة : ٢٣١]

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغُنَّ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾

[سورة البقرة: ٢٣٢]

الأب الذي يحرم زوج ابنته من ابنته ليكيد الزوج ، والابنت تخاف منه ، هذا ماذا يفعل ؟ يحرم حقاً طبيعياً للفتاة ، ويحرم حقاً طبيعياً للزوج ، فالإنسان قبل أن يمنع ابنته من زوجها عليه أن يقرأ هذه الآية .

قطف ثمار القرآن الكريم لا تكون إلا بتطبيقه و تدبره :

أيها الأخوة الكرام ؛ مرة ثانية وثالثة : لا نكون ممن يتلو القرآن حق تلاوته إلا إذا كنا عند أمره ونهيه ، الذي يرفعنا عند الله أن نطيق أمره ، الذي يقربنا من الله عز وجل أن نجعل هذا القرآن حكماً بيننا ، الذي يجعلنا نستحق النصر من الله عز وجل أن يكون هذا الكتاب مطبقاً في حياتنا . أن نتلوه ؛ شيء جميل ، وأن نتلوه مجوداً ؛ شيء أجمل ، وأن نحفظه أجمل وأجمل ، لكن المؤمن لا يستطيع قطف ثماره ، وأن يكون هذا القرآن الكريم كما قال الله تعالى : هدى وبيان ، وموعظة وبرهان ، ونور وشفاء ، وذكر وبلاغ ، ووعود ووعد ، وبشرى ونذير ، يهدي إلى الحق ، وإلى الرشده ، وإلى طريق مستقيم ، ويخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد ، إلا إذا طبقناه .

فيا أيها الأخوة الكرام ؛ إذا أردتم أن ترضوا الله عز وجل ، إذا أردتم أن تتقربوا إليه ، إذا أردتم أن يتجلى عليكم ، أن يلقي في قلبكم السكينة ، أن يلقي في قلبكم النور ، إذا أردتم أن يكون هذا الكتاب إماماً لكم إلى الجنة ، يجب أن تعنوا بتطبيقه ، يجب أن تقرأوه قراءة تدبر ، وأن تسأل نفسك هذا السؤال دائماً : أين أنا من هذه الآية ؟ هل أنا مطبق لها ؟ هل أنا مقصر ؟ هل أطبقها بعض التطبيق أم كل التطبيق أم لا أطبقها ؟ . .

تلاوة القرآن حق تلاوته تكون بتطبيق أوامره واجتناب نواهيه :

أيها الأخوة الكرام ؛ قد تكون الحقيقة مرة ، والإنسان أميل إلى التماس العذر لنفسه ، وإلى محاباة نفسه ، وإلى مدح نفسه ، وهذا منزلق خطير يصل بالإنسان إلى طريق الهاوية ، أسأل نفسك هذا السؤال : هذه الآيات التي تتلوها وأنت في رمضان ، أو تسمعها في صلاة التراويح ، أو إذا سمعت القرآن يُتلى عليك ، أسأل نفسك هذا السؤال : أين أنا من تطبيقه؟ أين أنا من أحكامه ؟ أين أنا من إحلال حلاله وتحريم حرامه ؟ أين أنا من تطبيق أمره وترك نهيه ؟ أين أنا من الخوف من وعيده والرجاء بوعده ؟
أيها الأخوة الكرام :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَدَىٰ﴾

[سورة البقرة : ٢٦٤]

إذا فعلت معروفاً يجب أن تنساه ، وإذا فعل معك معروف يجب أن تذكره طوال حياتك . هذا شأن المؤمن ، لكن بعض الناس إذا فعل خيراً يظل صباحاً ومساءً ، سراً وعلانية ، يمن على الناس بهذا العمل ، فإذا فعل معه معروف نسيه وكأنه لم يفعل معه شيء .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَدَىٰ﴾

[سورة البقرة : ٢٦٤]

﴿وَلَا تَيْمَمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ﴾

[سورة البقرة : ٢٦٧]

الشيء الذي لا تشتهييه لا تعطه لغيرك ، الشيء الذي لا تتوق نفسك إليه لا تجعله موضوعاً لصدقتك .

﴿وَلَا تَيْمَمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ﴾

[سورة البقرة : ٢٦٧]

﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾

[سورة البقرة : ٢٨٢]

لو أن حادثاً وقع ، لا يقبل أحد أن يذهب للشهادة ، يقول : هذا شيء متعب ، دعني من وجع الرأس . أين تطبيق هذه الآية :

﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾

[سورة البقرة : ٢٨٢]

﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آتَمَّ قَلْبُهُ﴾

[سورة البقرة : ٢٨٣]

إذا أردت أن تتلو القرآن حق تلاوته فعليك بتطبيق أوامره ونواهيه .

﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾

[سورة آل عمران : ٢٨]

أن تقيم علاقة حميمة مع كافر لا يؤمن بما تؤمن ، لا ينتهي عما تنتهي ، ولا يقدر ما تقدر ، بل يهزأ ويسخر ، وأنت تمحضه كل ودك ، وكل إخلاصك . هذا ليس من صفات المؤمنين .

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾

[سورة آل عمران : ٦٤]

العبادة لله وحده . ما الذي أهلك الأمم السابقة ؟ حين اتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله ، فضلوا وأضلوا ، وفسدوا وأفسدوا .

تطبيق أحكام الله عز وجل :

أيها الأخوة الكرام :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾

[سورة آل عمران : ١٠٢]

ماذا يعني هذا النهي ؟ يعني أن تكون مسلماً من هذه اللحظة ، وفي كل لحظة ، حتى إذا جاء الموت تكون مسلماً كما يرضي الله عز وجل .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

[سورة آل عمران: ١٣٠]

هذا الذي يستمرئ أكل الربا ، ويقول : أنا قناعتى ذلك . ما قيمة قناعتك أمام حكم الله عز وجل ؟ يقولون هذا عندنا غير جائز ، فمن أنتم حتى يكون لكم عند ؟ . . ما قيمة قناعتك واجتهادك أمام النص القطعي الدلالة الذي لا يحتمل اجتهاداً ولا تفسيراً ولا تأويلاً ؟
أيها الأخوة الكرام ؛ قال تعالى :

﴿لَا يِعْرَنُكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَاوَاهُمْ جَهَنَّمَ وَيُنْسِ الْمِهَادُ﴾

[سورة آل عمران: ١٩٦-١٩٧]

لا ينبغي أن تملأ تعظيماً وتقديساً لغير المؤمنين الصادقين .

﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾

[سورة النساء: ٥]

إذا وضعت المال في مكان تُرتكب فيه المعاصي ، ويُرتزق بالمعصية وتقول : هذا عمل ، وهذا استثمار ،

﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾

جمع الآيات التي تبدأ بكلمة نفي أو نهي و التأمل بها و تطبيقها :

أيها الأخوة الكرام ؛ آيات كثيرة تبدأ بلا الناهية ، وهي لا يمكن أن تحتويها خطبة ، لكنكم إذا قرأتم كلام الله في قرآنه ، أو إذا استمعتم إلى القرآن يُتلى عليكم ، أو إذا استمعتم إلى القرآن في التراويح عليكم أن تقفوا عند هذه المنهيات ، ولا تقفوا قفزة نوعية في رمضان ، ولا ترقى في رمضان إلا إذا رفعت من مستوى التطبيق ، هذا الذي يرضي الله عز وجل .

أيها الأخوة الكرام ؛ أرجو الله سبحانه وتعالى أن تتابعوا بأنفسكم هذا الموضوع .

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾

[سورة الإسراء: ٣٤]

﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ﴾

[سورة الأنعام: ١٥١]

﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾

[سورة الأعراف: ٣١]

﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾

[سورة الأنعام : ١٢١]

هناك لحوم لا يُذكر اسم الله عليها ، لا تُذبح وفق الشريعة الإسلامية ، نهي واضح.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرَمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾

[سورة المائدة: ٨٧]

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا﴾

[سورة المائدة: ٢]

آيات كثيرة جداً تزيد عن ألف آية ، تبدأ بلا الناهية ، فحبذا لو جعل أحدكم ختمة القرآن بهذه الطريقة ، ليجمع الآيات التي يسبقها أداة نفي ، أو أداة نهي ، لا الناهية ، إذا جُمعت في دفتر صغير ، وقرأها وتملاها فلعلها تهديه إلى سواء السبيل ، هذا الذي يرضي الله عز وجل ، وهذا الذي يرفعنا عند الله عز وجل .

أيها الأخوة الكرام ؛ حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم ، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا غيرنا وسيتخطى غيرنا إلينا ، الكيس من دان نفسه ، وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها ، وتمنى على الله الأماني .

* * *

الخطبة الثانية :

أشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، صاحب الخلق العظيم ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

محارم الله ينبغي الابتعاد عن نطاقها لا عن عينها :

أيها الأخوة الكرام ؛ يتوهم بعض ضعاف الإيمان من المسلمين أن الخمر ليست محرمة بل هي مكروهة ، أقول : بعض ، وأقول : بعض ضعاف الإيمان ، ولا أعتقد أن أحداً ممن يحضر خطب الجمعة عنده هذه الشبهة ، لكن هناك أناساً كثيرين تلقى عليهم هذه الشبهة ليس عندهم جواب شاف لها ؛ لأنه لم يرد نص قرآني صريح بأنها محرمة ، كما هي الحال في الميتة ولحم الخنزير .

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾

[سورة المائدة: ٣]

ومع أن هؤلاء قلة ، لكنهم يوقعون الكثرة في حيرة واضطراب ، والكثرة مع أنها ترفض هذه المقولة ، غير أنها لا تملك الجواب الشافي ، وقد طُرح عليّ هذا السؤال في بحر الأسبوع الماضي ، فرغبت أن تعم الفائدة فجعلت من هذا الموضوع الموضوع الفقهي في هذه الخطبة .

أيها الأخوة ؛ الحقيقة الثابتة أن الله سبحانه وتعالى حينما قال :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ

لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾

[سورة المائدة: ٩٠]

دليل التحريم كلمة فاجتنبوه ، كلمة فاجتنبوه أقوى ، وأبلغ ، وأشدّ تحريماً مما لو قال الله : حرمت عليكم الخمر . تيار كهربائي عالي التوتر ، إذا أردنا أن ننبه الناس للخطر منه هل نقول لهم :

منوع مس هذا التيار أم ممنوع الاقتراب منه ؟ لأن هذا التيار عالي التوتر يجذب الرجل لمسافة ستة أمتار إليه ، ويجعله فحمة في ثانية واحدة ، فهل من الحكمة أن نمنع مس التيار أم نمنع الاقتراب من التيار ؟ وأيها أبلغ في المنع أن تقول : ممنوع مس التيار أم ممنوع الاقتراب منه ؟ أيها الأخوة الكرام ؛ مثال آخر : الحق جلّ جلاله قال لآدم وحواء :

﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا

﴿ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾

[سورة البقرة: ٣٥]

لَمْ يَلْمِ يَاقِلْ لِهَمَا وَلَا تَأْكُلَا مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ ؟ وما الفرق بين أن يقول الله عز وجل ولا تقربا هذه الشجرة وبين أن يقول ولا تأكلا منها ؟

أيها الأخوة الكرام ؛ محارم الله ينبغي أن نبتعد عن نطاقها ، لا عن عينها ، لأن قريبك من المحرم يغريك به ، إذاً لا تقربا هذه الشجرة أبلغ وأشدّ في الاحتياط من أن يقول الله عز وجل : لا تأكلا من هذه الشجرة . لو قال : لا تأكلا ، لكان من الممكن أن يذهب الإنسان إلى هذه الشجرة ، وأن يجلس إلى جوارها ، وأن يتغزل بمحاسنها ، وأن ينظر إلى ثمارها بحسرة ، ولكنه لا يأكل منها ، لكن الله سبحانه وتعالى أراد أن يبعدهما عن أسباب المعصية ، لأن القرب هو بداية المعصية ،

﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ ﴾

أيها الأخوة الكرام ؛ الملاحظ أن أمر النهي في المحرمات جاء في القرآن الكريم على هذه الصيغة:

﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ﴾

[سورة البقرة : ١٨٧]

أي لا تتجاوز الحد الذي رسمه الله . ولكن في المحللات قال :

﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾

[سورة الأعراف: ٣١]

فالمحللات جاءت فيها الصياغة مختلفة .

دليل آخر هو أن الاجتناب جاء في قمة العقيدة ، في قمة الإيمان ، ماذا قال الله عز وجل :

﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا ﴾

[سورة الزمر: ١٧]

وفي آية أخرى :

﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا ﴾

[سورة الحج : ٣٠]

تحريم الخمر في القرآن الكريم :

تعالوا أيها الأخوة لنناقش معكم منطلق هؤلاء الذين يدعون أن الخمر ليست محرمة بل هي مكروهة؛ لأن الله لم يذكر في القرآن الكريم نصاً صريحاً بأنها محرمة . تعالوا نناقش هاتين الآيتين في منطلق هؤلاء .

يجوز في منطلق هؤلاء أن يُعبد الشيطان ، وأن تعبد الأوثان ، فهي ليست محرمة ولكنها مكروهة . ما قولكم ؟ شيء غير مقبول إطلاقاً .

أيها الأخوة الكرام ؛ لو أن الله سبحانه وتعالى قال : حُرِّمَ عَلَيْكُمْ الخمر لكان يجوز في هذه الحالة أن يحمل الخمر إلى من يشربه ، ويجوز أن يصنع ، ويجوز أن يتاجر به ، ويجوز أن يباع ، ويجوز أن يقدم ضيافة ، ويجوز أن يجلس مع من يشربه . ولكن معنى اجتنبوا أي اجتنب مكاناً يقدم فيه الخمر ، اجتنب أناساً يشربون الخمر ، اجتنب مكاناً تتواجد فيه مع الخمر . لذلك ورد في الحديث الذي رواه أبو داود والحاكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

((لعن الله الخمر ، وشاربيها ، وساقبيها ، وبائعها ، ومبتاعها ، وعاصرها ، ومعتصرها ، وحاملها ، والمحمولة إليه ، وأكل ثمنها))

[أبو داود والحاكم عن عبد الله بن عمر]

هذا الكلام الذي استنبطه النبي من قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

[سورة المائدة: ٩٠]

فالاجتناب أيها الأخوة أبلغ من أن يقول الله عز وجل : حرمت عليكم الخمر . أيها الأخوة الكرام ؛ لا أعتقد أن واحداً ممن يرتاد بيوت الله عز وجل يعتقد هذه العقيدة ، لكن أناساً كثيرين طُرحت عليهم هذه الشبهة ، واحتراروا في الإجابة عنها ، فأردت أن يكون معكم سلاح العلم في الرد على هذه الشبهة ، الخمر محرمة في القرآن الكريم في أعلى درجات التحريم ، وأعلى درجات التحريم كلمة فاجتنبوه . .

الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت ، وتولنا فيمن توليت ، وبارك لنا فيما أعطيت ، وقتنا واصرف عنا شرَّ ما قضيت ، فإنك تقضي بالحق ولا يُقضى عليك ، إنه لا يذل من واليت ، ولا يعز من عاديت ، تباركت ربنا وتعاليت ، ولك الحمد على ما قضيت ، نستغفرك ونتوب إليك ، اللهم هب لنا عملاً صالحاً يقربنا إليك . اللهم أعطنا ولا تحرمنا ، أكرمنا ولا تهنا ، آثرنا ولا تؤثر علينا ، أرضنا وارض عنا ، اقم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك ، ومن طاعتك ما تبلغنا بها جنتك ، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ، ومتعنا اللهم بأسماعنا ، وأبصارنا ، وقوتنا ما أحييتنا ، واجعله الوارث منا ، واجعل ثأرنا على من ظلمنا ، وانصرنا على من عادانا ، ولا تجعل

الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ، ولا تسلط علينا من لا يخافك ولا يرحمنا ، مولانا رب العالمين .
اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، وديننا التي فيها معاشنا ، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها
مردنا ، واجعل الحياة زاداً لنا من كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر ، مولانا رب
العالمين. اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عن سواك . اللهم لا
تؤمنا مكره ، ولا تهتك عنا سترك ، ولا تنسنا ذكرك يا رب العالمين . اللهم استر عوراتنا ، وآمن
روعاتنا ، وآمنا في أوطاننا ، واجعل هذا البلد آمناً سخياً رخياً وسائر بلاد المسلمين . اللهم إنا نعوذ
بك من الخوف إلا منك ، ومن الفقر إلا إليك ، ومن الذل إلا لك ، نعوذ بك من عضال الداء ،
ومن شماتة الأعداء ، ومن السلب بعد العطاء . اللهم ما رزقتنا مما نحب فاجعله عوناً لنا فيما
نحب، وما زويت عنا ما نحب فاجعله فراغاً لنا فيما نحب . اللهم صن وجوهنا باليسار ، ولا تبدلها
بالإقتار ، فنسأل شرّ خلقك ، ونبتلى بحمد من أعطى ، وذم من منع ، وأنت من فوقهم ولي العطاء،
وبيدك وحدك خزائن الأرض والسماء . اللهم كما أقررت أعين أهل الدنيا بدنياهم فأقرر أعيننا من
رضوانك يا رب العالمين . اللهم بفضلك وبرحمتك أعل كلمة الحق والدين ، وانصر الإسلام وأعز
المسلمين، وخذ بيد ولاتهم إلى ما تحب وترضى ، إنك على ما تشاء قدير ، وبالإجابة جدير .

والحمد لله رب العالمين